سورة الكافرون دراسة تحليلية

إعداد:

د/ أسماء عبد العظيم محمد وشيحي.

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات ببني سويف، جامعة الأزهر، مصر.

سورة الكافرون دراسة تحليلية

أسماء عبد العظيم محمد أحمد وشيحي.

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات ببني سويف، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: azhar.edu.eg **AsmaaAbdelAzim4499@**

الملخص:

تناول البحث سورة – الكافرون – دراسة تحليلية للوقوف على معانيها، والاستضاءة بهديها، والنهل من فوائدها، وتوضيح ما يتعلق بها من قضايا، ليحصل التدبر على الوجه الأكمل والطريق الأقوم.

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على هذا في السورة – الكريمة – التي تقرر مبدأ الألوهية العظيم مع إخلاص العبادة لله تعالى، وقد جاء تحت عنوان" سورة الكافرون دراسة تحليلية". وقسم البحث إلى ما يلي:مقدمة، وتمهيد: ضمنته دراسة عامة عن سورة الكافرون، وسبعة مطالب: المطلب الأول: تعريف الكفر وأنواعه، المطلب الثاني: أنواع عبادات الكفار، المطلب الثالث: العبادة المشروعة، المطلب الرابع: العبادات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم،المطلب الخامس: محاولات الكفار جذب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما هم عليه، المطلب السادس: الأساليب البلاغية في السورة، المطلب السابع: مناسبة الختام بقوله [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦] بالسورة الكريمة،

وأما الخاتمة: فقد ضمنتها: أهم النتائج ثم الفهارس.

المنهج: سلكت في البحث المنهج التحليلي الاستقصائي لآيات السورة الكريمة.

النتائج: توصلت من خلال بحثي في هذه السورة – الكريمة – إلى نتائج منها:

إن سورة الكافرون هي إحدى سور القرآن – العظيم – المكية التي تتحدث عن إخلاص العبادة لله وحده، وإعلان البراءة من الشرك،

والتحذير الشديد من التكفير باعتباره حكماً شرعياً له ضوابطه التي ينبغي مراعاتها، فليس لأي أحد كائن مَن كان إطلاقه مستنداً إلى رأي مجرد، لأنه من المسائل الشرعية لا العقلية، لذا صار القول فيه من خالص حق الله تعالى لا حق فيه لأحد من عباده.

وتقرير حرية الإعتقاد التي أكد عليها القرآن في غير ما وضع، وإضافة إلى ذلك فالسورة لها نصيب من الوصف المذكور للقرآن على سبيل الإجمال، وهو كونه بياناً وهدى وفرقاً بين الحق والباطل.

التوصيات: إعداد دراسة علمية حول ترجيح أقوال المفسرين لبيان مفردات آيات السورة مع بيان أن السورة الكريمة تفرق بين منهج الله في كل الرسالات السماوية وما وضعه البشر من نِحل باطلة وديانات وضعية،

والوقوف بحزم من أجل القضاء على جماعات التكفير، وبيان خطرها على الدين نفسه.

الكلمات المفتاحية: الكفر، العبادة، الدين، القرآن، المسائل الشرعية .

An analytical study of suratAl-Kafiroon

Asmaa Abdul-Azim Muhammad Ahmed Weshehi.

‹Department of Interpretation and Qur'anic science
Beni ‹Faculty of Islamic and Arabic studies for Girls
Egypt.‹ Al-Azhar University‹suef

E-mail: AsmaaAbdelAzim4499@ azhar.edu.eg

Abstract:

an ‹ The research dealt with Surat Al-Kafiroon ‹ in order to find out its meanings‹analyticalstudy and clarify the ‹ know its benefits‹enlighten its guidance in order to reflect in the fullest way ‹issues related to it which establishes the ‹The research aims on the surah great principle of divinity with the. an analytical study". The research was divided into the following: an and preface: in included a general study on ‹introduction and seven demands: The first ‹surat Al-Kafiroon the ‹requirement: definition of infidelity and its types the third ‹second requirement: types of infidel worship the fourth requirement: ‹requirement: legitimate worship may God bless him and grant ‹the worship of the prophet the fifth requirement: the attempts of the ‹him peace and ‹infields to attract the prophet peace be up on him the sixth ‹the believers to what they are upon the seventh ‹requirement: rhetorical methods in the surah **[]**requirement: the accasion of the conclusion by saying in the holy surah. As for the conclusion: it included the then the indexes.‹most important results

sincerity of worshiping God Almighty‹ and it came under the title "surat Al-Kafiroon.

Methodology: in this research، I followed the analytical and investigative approach to the verses of the holy surah.
Results: Through my research on this holy surah، I reached conclusions، including: surah Al-Kafiroon os one of the surahs of the Great meccan Qur'an that speaks of the sincerity of worship to God alone، and the declaration of innocence from polytheism، and the strong warning against takfir as a legal ruling has its control that must be observed، so no one has the right to release it based on an abstract opinion، because it's one of the legal issues، not the rational، so the saying about it became from the pure right of God Almighty that none of his servants has right to it. And the determination of the freedom of belief that the Qur'an affirmed in order than what was established. In addition to that، the surah has a share of the aforementioned description of the Qur'an as a whole، which is that it is a statement between truth and false.
Recommendations: preparing a scientific study on preferring the sayings of the commentators to clarify the vocabulary of the verses of the surah، with a statement that the holy surah distinguishes between God's methods in all the heavenly messages and what people have put in place of false and man-made religions، and to stand firmly in order to eliminate the takfiri groups، and to clarify their danger to religion itself.

Keywords:

Legal issues..،The Qur'an، Religion ، Worship، Disbelief

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي آتاه الله الفرقان، وعلمه الحكمة والبيان، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد.. ..

فإن التوحيد منهج الحق والشرك منهج الباطل، والحق والباطل لا يلتقيان في جهة واحدة، فالتوحيد منهج يتجه به الإنسان إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما يحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان عقيدته وشريعته وقيمه وآدابه وتصوراته كلها عن الحياة والوجود، تلك الجهة التي يتلقى المؤمن عنها هي الله وحده بلا شريك، وهذا كله هو ما تصوره لنا سورة الكافرون.

والمتتبع لآيات هذه السورة الكريمة يجد أنها تقرر الإيمان بالله وحده لا شريك له، وضرورة التمسك بأصول الدين والاستمرار عليه مهما حدث، وأن الناس أحرار في اختيار عبادتهم ودينهم، ولذلك فإن الإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه، بل يكتفي بالدعوة إليه، وهو ما أمرت به السورة الكريمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن عليه فقط إنذارهم أنهم كافرون، وأنه بريء منهم ولم تأمره السورة بأكثر من ذلك، فهو مبلغ عن ربه وأنه ليس عليهم بمسيطر ولا بجبار، وهو ما صرح به قوله تعالى شأنه [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ].

– أسباب اختيار الموضوع:

١– أهمية هذه السورة من خلال ما ورد فيها من فضائل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- موضوع السورة المتعلق بالعقيدة وتحقيق التوحيد، ومبدأ عدم الإكراه في الدين.

- منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي[١] الاستقصائي[٢] لآيات السورة الكريمة.

- وكان كما يلي:

١- الكشف عن الجوانب التحليلية المتعلقة بسورة الكافرون من حيث: التسمية والنسبة إلى المكية والمدنية، والمناسبة لما قبلها وما بعدها، والأحاديث الواردة في فضلها.

٢- إظهار النواحي البيانية والجمالية في السورة الكريمة.

٣- تفصيل بعض القضايا المتعلقة بالسورة الكريمة.

٤- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في سورها بعد ذكر كل آية مباشرة.

٥- ذكر تفسير الآيات بعد الرجوع إلى مراجع التفاسير للوقوف على ما يناسب موضوع الآيات من أقوال بما يتناسب مع الموضوع.

---

[١] المنهج التحليلي: هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً.

أبجديات البحث في العلوم الشرعية, للدكتور/فريد الأنصاري صـ٩٦,طبعة:الدار البيضاء ١٩٧٧.

[٢] الاستقصاء: هو أحد الطرق التي تتبع للإلمام بالشيء ومعرفته.المصدر السابق صـ١٠٣.

٦- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

- خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وستة مطالب، وخاتمة على النحو التالي:

مقدمة، وتمهيد: يتضمن دراسة عامة عن سورة الكافرون، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الكفر وأنواعه، **المطلب الثاني:** أنواع عبادات الكفار **المطلب الثالث:** العبادة المشروعة، **المطلب الرابع:** العبادات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، **المطلب الخامس:** محاولات الكفار جذب النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين لما هم عليه، **المطلب السادس:** الأساليب البلاغية في السورة،

المطلب السابع: مناسبة الختام بقوله [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾] بالسورة الكريمة، **وأما الخاتمة:** فتشتمل على: أهم النتائج. ثم الفهارس، وتشتمل على:

أ- فهرس المراجع. ب- فهرس الموضوعات.

- النص القرآني:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾]

- تمهيد: دراسة عامة عن سورة الكافرون.

أولاً: اسم السورة الكريمة

سورة الكافرون سميت بهذا الاسم في المصحف وكتب التفسير وكتب السنة، فقد عنونها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه» سورة: قل يا أيها الكافرون[١] .

وتسمى سورة الدين، لقوله: [وَلِيَ دِينِ] [الكافرون:٦]، وتسمى أيضًا المقشقشة،

قال أبو عبيدة: سورتان من القرآن يقال لهما المقشقشتان: [قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ] و[قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ] لأنهما تقشقشان من الشرك أي تبرئان منه يقال: قشقش: إذا أزال المرض[٢].

وتسمى أيضاً سورة المعابدة والإخلاص لأنها في إخلاص العبادة والدين كما أن [قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ] في إخلاص التوحيد، واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما[١].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٨/٦, كتاب: تفسير القرآن, باب: سورة قل يا أيها الكافرون, برقم: ٤٩٦٦.

[٢] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز, لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى, تحقيق: محمد علي النجار ٥٤٨/١,الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة, التحرير والتنوير, لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٥٧٩/٣٠, الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس, سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

وبناء على ما سبق يمكن تقسيم أسماء السورة باعتبار التوقيف والاجتهاد إلى قسمين:

١- أسماء توقيفية: وهي اسمان: سورة الكافرون، وسورة قل يا أيها الكافرون.

٢- أسماء اجتهادية: وهي أربعة أسماء: الدين، والمقشقشة، والمعابدة، والإخلاص.

ثانياً: زمن نزول السورة

هي مكية بالاتفاق قاله ابن عطية وابن كثير، وروي عن ابن الزبير أنها مدنية[٢].

والراجح أنها مكية كما سيظهر ذلك في بيان سبب نزولها، وتضمنها لخصائص السور المكية، بالإضافة إلى أنها عُنيت بتقرير التوحيد وإفراد الله

=

[١] السراج المنير, لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ٥٩٨/٤, الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة, عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

[٢] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي, تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ٥٣١/٥,الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت,الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ, تفسير القرآن العظيم, لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي, تحقيق: محمد حسين شمس الدين ٤٧٧/٨,الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت,الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ, التحرير والتنوير ٥٧٩/٣٠.

– سبحانه وتعالى – بالعبادة، وهو شأن الآيات المكية التي عُنيت أكثر ما عُنيت بتثبيت العقيدة.

ثالثاً: سبب نزول السورة

جاء في سبب نزولها ما رواه الواحدي: أن رهطًا من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيرًا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا مما في يدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك، فقال: "معاذ الله أن أشرك به غيره"، فأنزل الله تعالى: [قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ] إلى آخر السورة، فغدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك[1].

ولعل هذه الرواية جاءت ضمن التفسير لهذه السورة إلا أن الواحدي قد ذكرها في أسباب النزول، وهي ليست سبباً حقيقياً لنزول السورة.

---

[1] أسباب نزول القرآن, لأبي الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي, تحقيق: عصام الحميدان ٤٦٧/١, الناشر:الدمام, الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

رابعاً: عدد آياتها

هي ست آيات بالإجماع[١].

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

أولاً: مناسبتها لسورة الكوثر

ترتبط سورة الكافرون بسورة الكوثر، على اعتبار أن سورة الكوثر تظهر المنهج السديد لما ينبغي أن يكون عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه، وأنهم دون غيرهم يخلصون لله العبادة وحده، وأنهم يقبلون على ربهم بحب وصفاء فليس الأمر فقط فصل دين عن دين آخر بل من اختار دين الله يقبل عليه ويتمسك به، ثم جاءت سورة الكافرون لتشعر أن اختيار المؤمن لدينه إنما هو عن يقين وحب لهذا الدين وأن من اختار غير ذلك فهو على دين من حيث الشكل لا المضمون.

وذلك أنه تعالى لما قال في السورة السابقة : **[فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢]** [الكوثر: ٢]، أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون، وبالغ في ذلك فكرر، وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه[٢].

وقال الإمام المراغي في مناسبة السورة لما قبلها: إنه – تعالى –في السورة السابقة أمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعبادته، والشكر له

---

[١] بصائر ذوي التمييز ٥٤٨/١, روح المعاني, لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي, تحقيق: علي عبد الباري عطية ٤٨٤/١٥,الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

[٢] أسرار ترتيب القرآن, لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ١٦٩/١, الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

على نعمه الكثيرة، بإخلاص العبادة له، وفي هذه السورة التصريح بما أشير إليه فيما سلف[١].

ثانياً: مناسبتها لسورة النصر

أنه لما قال في آخر سورة الكافرون **[وَلِيَ دِينِ ۝٦]** [الكافرون:٦]،

كان فيه إشعار بأنه خلص له دينه، وسلم من شوائب الكدر والمخالفين، فجاءت سورة النصر لبيان وقت ذلك، وهو مجيء الفتح والنصر، فإن الناس حين دخلوا في دين الله أفواجاً، فقد تم الأمر وذهب الكفر، وخلص دين الإسلام ممن كان يناوءه، ولذلك كانت السورة إشارة إلى وفاته – صلى الله عليه وسلم[٢].

وعبارة الإمام الرازي في هذا المقام:" كأنه تعالى يقول: لما أمرتك في سورة الكافرون بمجاهدة جميع الكفار، بالتبري منهم، وإبطال دينهم، جاءت سورة النصر متضمنة الجزاء على ذلك بالنصر والفتح وتكثير الأتباع"[٣].

سادساً: مقاصد السورة

يدور محور السورة حول البراءة من كفر الكافرين ومما يعبدون والإخلاص في العمل لله تعالى، وأن دين الإسلام لا يخالط شيئاً من دين الشرك،

---

[١] تفسير المراغي, للإمام أحمد بن مصطفى المراغي ٢٥٤/٣٠, الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر, الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

[٢] أسرار ترتيب القرآن ١٦٩/١بتصرف.

[٣] مفاتيح الغيب, لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ٣٣٥/٢٣ بتصرف, الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت,الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

وتأييس المشركين من أن يوافقهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – في شيء مما هم عليه من الكفر[١].

سابعاً: فضل السورة الكريمة

القرآن الكريم كله سواء في البلاغة والإعجاز، وأما من حيث فضل السورة فقد يكون من حيث موضوعها وقد يكون لحكمة يعلمها الله، فمثلاً موضوع التوحيد في سورة الإخلاص أفضل من موضوع ذم امرأة أبي لهب في سورة المسد، وموضوع سورة الكافرون من هذا القبيل، ومما ورد في ربط موضوع سورة الإخلاص بموضوع سورة الكافرون ما رواه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه –

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ "[٢].

وما رواه أيضًا أبو داود عن نوفل الأشجعي – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «اقْرَأْ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ثُمَّ نَمْ، عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»[٣].

---

[١] التحرير والتنوير ٥٨٠/٣٠ بتصرف.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٥٠٢/١, كتاب: صلاة المسافرين وقصرها,باب: استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما, برقم: ٧٢٦.

[٣] أخرجه أبو داود في سننه ٣١٣/٤, كتاب:أبواب النوم, باب: ما يقال عند النوم,برقم:٥٠٥٥, وقال المحقق: صحيح.

وإذا كانت المفاضلة بين سور القرآن تكون من حيث الموضوع، فإن موضوع هذه السورة يستمد فضله من عقيدة الدين نفسه، أما من حيث الثواب والأجر فالقرآن كله سواء في ذلك، وهو ما روى عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1].

[1] أخرجه الترمذي في سننه ١٧٥/٥, كتاب: أبواب فضائل القرآن, باب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر, برقم: ٢٩١٠, وقال المحقق: صحيح.

المطلب الأول: تعريف الكفر وأنواعه

معنى الكفر في اللغة

كَفَرَ: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، والكفر: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق، والكفر أيضًا: جحود النعمة، وهو ضد الشكر[١].

وفي الاصطلاح

خلاف الإيمان فهو عدم تصديق الرسول – صلى الله عليه وسلم – في شيء مما علم بالضرورة مجيئه به[٢].

وقال الراغب: الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثتها[٣].

وقال أبو البقاء: الكفر كل شيء غطى شيئًا فقد كفره، ومنه سمي الكافر لأنه يستر نعم الله[١].

---

[١] معجم مقاييس اللغة, لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين, تحقيق: عبد السلام محمد هارون ١٩١/٥, الناشر: دار الفكر, عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م, مختار الصحاح, لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي,

تحقيق:يوسف الشيخ محمد ٢٧١/١,الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا, لطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

[٢] مفاتيح الغيب ٢٨٢/٢, المواقف, لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي, تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ٥٤٤/٣,الناشر: دار الجيل بيروت,الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

[٣] المفردات في غريب القرآن, لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى, تحقيق: صفوان عدنان الداودي ٧١٥/١,الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت, الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

وكذلك سمي الزارع الذي يحرث الأرض بالكافر، لأنه يكفر ويستر الحب في الأرض

إذن فالمعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي، الذي يدور حول الستر والتغطية والجحود.

- أنواع الكفر

إذا كان الكفر هو عبارة عن إنكار شيء مما علم من الدين بالضرورة فإن له صوراً عديدة ترجع إلى الإنكار نفسه، من ذلك:

١- أن يكون تكذيباً لسيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو قليل، وقد قال الله – عز وجل – ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام:٣٣]، أي أنهم يعلمون صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومع ذلك ينكرون وهذا هو الجحود الذي هو الإنكار مع العلم.

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: أي لا يتهمونك بالكذب فى نفس الأمر، ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدودهم[٢].

=

[١] الكليات, لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي, تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ٧٤٢/١,الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

[٢] تفسير ابن كثير ٢٢٤/٣.

وذكر الإمام الرازي في نفي التكذيب مع إثبات الجحود أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن والنبوة.

الوجه الثاني: إنهم لا يقولون له إنك كذاب، لأنهم جربوه الدهر الطويل فلم يكذب فيه قط، ولكنهم جحدوا صحة النبوة والرسالة واعتقدوا أنه تخيل أنه نبى وصدق ما تخيله فدعا إليه.

الوجه الثالث: إنهم لما أصروا على التكذيب مع ظهور المعجزات القاهرة وفق دعواه كان تكذيبهم تكذيباً لآيات الله المؤيدة له أو تكذيباً له سبحانه فكأن الله قال له:

إن القوم ما كذبوك ولكن كذبوني.

الوجه الرابع: إن المراد أنهم لا يخصونك بالتكذيب، بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق مطلقاً ويقولون في كل معجزة إنها سحر، فكأن الخلاصة إنهم لا يكذبونك على التعيين ولكن يكذبون جميع الأنبياء والرسل[١].

٢- ومن صوره أيضاً كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يقر أن ما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم - حق من ربه، لكنه يرفض اتباعه استكبارًا وعنادًا؛ ككفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولم ينكره، ولكن قابله بالإباء والاستكبار، ورد الأمر على الآمر تعالى شأنه فقال أنا خير منه، قال

---

[١] مفاتيح الغيب ٥١٨/١٢.

تعالى: [وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾] [البقرة:٣٤].

يقول الشيخ طنطاوي –رحمه الله–: ولما كان استثناء إبليس من الساجدين لا يدل على أنه ترك السجود عصياناً، إذ قد يكون تركه لعذر، دل بقول: أَبى وَاسْتَكْبَرَ على أنه امتنع من السجود أنَفةً، وتعاظماً، وأردف هذا التعاظم والغرور باعتراضه على الله– تعالى– في تفضيل آدم، فصار بذلك في فريق الكافرين، ولذا ختمت الآية بقوله– تعالى–: وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ أى: صار بسبب عصيانه واستكباره من الكافرين بالله، الجاحدين لنعمه، البعيدين عن رحمته ورضوانه[1].

٣– ومن صوره أيضاً كفر الإعراض عن الإيمان، بأن يعرض بسمعه وقلبه عن ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –، والدليل قوله تعالى: [وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ] [الأحقاف:٣].

قال الإمام الطبري في معنى الآية: والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لا يتعظون به، ولا يتفكرون فيعتبرون[2].

---

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم, للإمام محمد سيد طنطاوي ٩٩/١, الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة, الطبعة: الأولى.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن, لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري, تحقيق: أحمد محمد شاكر ٨٩/٢٢, الناشر: مؤسسة الرسالة,الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٤- ومن صوره أيضاً كفر النفاق وهو أقبح الكفر، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والدليل قوله تعالى: [ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ] [المنافقون:٣][١].

قال الإمام القرطبي: هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر، أي: أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن التكفير من الأحكام الشرعية التي يطلقها الشارع، فلا يجوز لأحد إطلاقه بمجرد الهوى، أو بقياس عقلي، أو نحو ذلك بل هو حق لله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فلا يطلق هذا الوصف على أحد إلا بعد استحقاقه له[٣].

وكل هذه الصور راجعة إلى الإنكار وعدم التصديق لما علم من الدين بالضرورة،

وتحديد هذا المصطلح وبيانه من الأهمية بمكان مكين، ولا سيما أن بعض الجاهلين بأصول هذا الدين وتعاليمه يطلقون لفظ الكفر من غير علم فيَضلون ويُضلون الناس.

---

[١] الرسالة المفيدة, لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي, تحقيق: محمد بن عبد العزيز المانع ٤٥/١,الناشر: رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

[٢] تفسير القرطبي, لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي,تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ١٢٤/١٨,الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة,الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

[٣] المفيد في مهمات التوحيد, للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي ١٧٥/١,الناشر: دار الاعلام, الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ.

فإن الإيمان والكفر أمران قلبيان لا إطلاع لأحد عليهما إلا لله في الحقيقة، أما نحن فنأخذ بالظاهر، فقد يكون الإنسان مؤمناً عند الله كافراً عند الناس لقوله تعالى [مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ][النحل:١٠٦]، وقد يكون مؤمناً عند الناس كافراً عند الله وهذا هو المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وهناك من يكون مؤمناً عند الناس مؤمناً عند الله وكذلك قد يكون كافراً عند الناس كافراً عند الله.

قال الشاطبي: إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموماً أيضاً، فإن سيد البشر – صلى الله عليه وسلم – مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم[1].

ومما يدل على الأخذ بالظاهر ومعاملة النبي – صلى الله عليه وسلم – الناس على حسب ظواهرهم، وترك سرائرهم لله – عز وجل – ما روي عن أسامة بن زيد

قال: بعثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: " يَا

---

[1] الموافقات,لإبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي, تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٤٦٧/٢, الناشر: دار ابن عفان, الطبعة:الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: فَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ[١].

فلا أحد يعرف خفايا النفوس ومطلع عليها إلا الله – سبحانه وتعالى – أما نحن فنحكم بالظاهر.

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ٩٧/١, كتاب: الإيمان, باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله, برقم:٩٦.

المطلب الثاني: أنواع عبادات الكفار

العبادة في الأصل: بمعنى الطاعة مع الخضوع، ويقال طريق مُعَبَّدٌ أي مذلل[١].

وقال الراغب: إن العبودية تطلق على إظهار التذلل والخضوع، أما العبادة فهي أبلغ منها؛ فالعبادة هي الغاية في التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال [أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ] [الإسراء:٢٣][٢].

وفي الاصطلاح: العبادة نهاية التعظيم والإجلال فلا تليق إلا بمن حصل منه نهاية الإنعام وهو الإله تعالى لأن منه الخلق والإحياء والعقل والرزق والهداية، ونعم الله كثيرة وجهات إحسانه إلى الخلق غير متناهية[٣].

وقد أكدت السورة الكريمة على إفراد المؤمن الموحد عبادته لله تعالى بخلاف الكافرين الذين تعددت آلهتهم المدعاة، فاختلفت عبادتهم واختلف المعبود عندهم.

فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أي: لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما

---

[١] تهذيب اللغة, لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور,تحقيق: محمد عوض مرعب١٣٨/٢,الناشر: دار إحياء التراث العربي,بيروت,الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م, لسان العرب, لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى٢٧٣/٣,الناشر: دار صادر – بيروت,الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

[٢] المفردات في غريب القرآن ٥٤٢/١ بتصرف.

[٣] مفاتيح الغيب ٤٥٩/١٨.

جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم–، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول – صلى الله عليه وسلم: [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ]، كما قال تعالى [وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ]{يونس:٤١}، وقال [لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ] {القصص:٥٥}[١].

وهكذا جاء مدار السورة – الكريمة – حول مقطع واحد متصل المعنى، يقرر إخلاص العبادة لله، فالله – سبحانه – وحده هو الخالق المستحق للعبادة، وقد جاء القرآن – الكريم – ينكر على الكفار ما هم فيه من عبادات باطلة، ويبين لهم فساد معتقدهم، فتنوع الكفار في عباداتهم الزائفة فمنهم من عبد الأصنام، قال تعالى [وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾] [نوح:٢٣-٢٤]، ومنهم من عبد الشمس والقمر والنجوم، وهم الصابئة، قال تعالى [وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔـٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

[١] تفسير ابن كثير ٤٧٩/٨.

﴿٧٩﴾] [الأنعام:٧٤-٧٩]، ومنهم من عبد النار وقد عُرفت بأنها عبادة المجوس،

قال تعالى[إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾] [الحج:١٧]، ومنهم من عبد الطبيعة، قال تعالى [وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ] [الأنعام:٢٩]، ومنهم من عبد البقر والآلهة المختلفة، كعبادة الناس، مثل عبادة فرعون قال تعالى [وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾] [القصص:٣٨]، وقوله [فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ] [النازعات:٢٤]، ومنها أيضاً عبادة النمرود قال تعالى [أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ] [البقرة:٢٥٨]، وغير ذلك كعبادة البشر والشجر والنساء وما إلى غير ذلك.

فنجد أن الله في قرآنه قد وجه كل آية إلى أولئك الذين ألغوا عقولهم وتفكيرهم واتجهوا اتجاهات باطلة في عبادة غير الخالق الذي رزقهم وأطعمهم وسقاهم وبيده الخير، انحرفوا إلى عبادات باطلة تتمثل في آلهة يعتقدون ألوهيتها، وأصنام يصنعونها بأيديهم ثم يعبدونها، وظواهر طبيعية تبدو لهم في رعد وبرق، ومخلوقات خلقها الله بقدرته من شمس، وقمر، وملائكة، وحيوانات، اعتقدوا في ذلك النفع والضرر، وآمنوا بها وهم يعلمون أنها لا تقدم ولا

تؤخر، ولكنهم مع ذلك أسلموا إليها قياد أنفسهم، يستشيرونها فيما يقدمون عليه من عمل وما يريدون إنجازه من أمور، يضربون القداح، ويستقسمون بالأزلام، ويرضخون لعادات باطلة من صنع أيديهم، وإلغاء عقولهم، تأخرت بهم تلك المعتقدات الباطلة عن انتشال أنفسهم من مهاوي الضلال، والتقليد، وباءوا بخسران مبين[١].

المطلب الثالث: العبادة المشروعة

العبادة التي شرعها الله – تعالى – لعباده على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – فإننا لا نعرفها إلا من الكتاب والسنة، فالعبادات الأساسية التي لا يصح الإسلام بدون تطبيقها معًا، هي:

١- النطق بالشهادتين، وهما أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله،

قال تعالى [شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ] [آل عمران:١٨]، وقال [قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾] [الأعراف:١٥٨].

---

[١] عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن, لعلي أحمد عبد العال الطهطاوى ١٨٧/١, الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٢- أداء خمس صلوات كل يوم، مع استيفاء شروطها من طهارة الملبس والبدن، والوضوء وستر العورة، واستقبال القبلة، قال تعالى [أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾] [الإسراء:٧٨].

٣- إيتاء الزكاة عن فضل المال البالغ للنصاب، قال تعالى [وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾] [البقرة:٤٣].

٤- صوم شهر رمضان كل عام، بحيث يمتنع المسلم القادر عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى مغيب الشمس بنية التقرب إلى الله – تعالى –، فيكون في ذلك شهر صفاء لنفسه، وتهذيب لخُلقه، وصحة لجسده، قال تعالى [شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ] [البقرة:١٨٥].

٥- الحج إلى بيت الله الحرام، مرة واحدة في العمر إن توفرت الاستطاعة المادية والبدنية، قال تعالى [ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ] [البقرة:١٩٧].

تلك الأركان الخمسة السابقة تعد بمثابة العبادات التي يُكلف بها المسلم، ولكن العبادة لا تقتصر عليها، فكل عمل نافع لم يمنعه الشرع، يعمله المؤمن ابتغاء ثواب الله يكون عبادة، حتى الأكل والنوم والنكاح والاغتسال والترويح عن النفس وكسب المال وإنفاقه وتربية الأبناء.

فمفهوم العبادة التي من أجلها خُلقنا حسب قوله تعالى [وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾] [الذاريات:٥٦]، يشمل الاستجابة لعموم ما أمرنا الله به ونهانا عنه ظاهرًا وباطنًا.

وقد شرعت العبادات لتحقيق القيم العالية ومصالح الفرد والمجتمع، ولترسيخ هوية المسلم وشخصيته، وهذا ما نلاحظه في قول الله تعالى [إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ] [العنكبوت:٤٥]، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»[1]،

فالله – سبحانه وتعالى – ليس بحاجة لعبادة المسلم، بل العبد هو المستفيد من تلك العبادة.

ومن هنا كان أمر الله تعالى بإقامة العدل والإحسان والصدق والوفاء بالعهود وبر الوالدين والإحسان إلى ذوي القربى والجيران واليتامى وأداء الأمانة والإنفاق في سبيل الله بل حتى إحسان الذبح والقتل، ونهيه سبحانه عن الظلم والبغي والكذب وقول الزور والغدر ونقض العهد وتطفيف الميزان والغش وعموم الفحش والمنكر،

وحتى الإضرار بالنفس والجسد، وغير ذلك الكثير، أمرًا ونهيًا من القيم والأخلاق التي تتفق البشرية على نبلها.

---

[1] أخرجه ابن ماجه في سننه١/٥٩٣, كتاب: الصيام, باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم, برقم: ١٦٩٠, وقال محققه: صحيح.

ومن ذلك قوله تعالى [إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ] [النساء:٥٨]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(١).

قال الشاطبي: نعلم أن النطق بالشهادتين والصلاة وغيرهما من العبادات إنما شرعت للتقرب بها إلى الله، والرجوع إليه، وإفراده بالتعظيم والإجلال، ومطابقة القلب للجوارح في الطاعة والانقياد(٢).

فلم تكن العبادات الأساسية في الإسلام طقوساً مبهمة أو تعاليم غير مفهومة منفصلة عن السلوك والأخلاق، لأنه في الواقع لا يمكن فصلها حتى تتحقق الغاية منها،ولعل الإشارة إلى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"(٣).

فهذا هو الهدف من بعثته – صلى الله عليه وسلم – والمنهاج المبين في دعوته – صلى الله عليه وسلم،

ومن هنا لم يقتصر مفهوم العبادة في الإسلام على إقامة أركان الإسلام الخمسة الأساسية، بل يتسع هذا المفهوم ليشمل كل تصرفات الإنسان في الحياة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه١٩٨٥/٤, كتاب: البر والصلة والآداب, باب: تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها, برقم: ٢٥٦٣.

(٢) الموافقات ١٢١/٣.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٢٣/١٠,كتاب: الشهادات, باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقاً بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة, برقم:٢٠٧٨٢.

المطلب الرابع: العبادات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم

كان النبي – صلى الله عليه وسلم – كثير العبادة من صلاة وصيام وذكر ودعاء وغير ذلك من أنواع العبادة،

لكن هناك أمور خاصة به – صلى الله عليه وسلم – دون غيره من أمته، منها:

١ – تهجد النبي صلى الله عليه وسلم

كان التهجد وهو قيام الليل فرضاً في حقه – صلى الله عليه وسلم – على الخصوص، إذ وجه إليه أمرًا بقيام الليل في قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢] [المزمل:١ – ٢].

فقد فرض قيام الليل على النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل فرض الصلوات الخمس عليه وعلى الأمة، وقد استمر وجوب قيام الليل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد فرض الصلوات الخمس تعظيمًا لشأنه بكثرة الإقبال على مناجاة

ربه في وقت فراغه من تبليغ الوحي وتدبير شؤون المسلمين وهو وقت الليل، كما يدل عليه قوله تعالى: [وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩] [الإسراء: ٧٩]، أي زيادة قرب لك، فكان هذا حكمًا خاصًا بالنبي – صلى الله عليه وسلم –، ولم يكن واجبًا على غيره، ولم تفرض على المسلمين صلاة قبل الصلوات الخمس، وإنما كان المسلمون يقتدون بفعل النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يقرهم على ذلك فكانوا يرونه

لزامًا عليهم، وقد أثنى الله عليهم بذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى: تتجافى جنوبهم عن المضاجع [السجدة: ١٦] [١].

لقد تحقق في عبادته – صلى الله عليه وسلم – الخاصة قوله تعالى [بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ] [الزمر:٦٦]، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقوم بالتهجد من الليل حتى تتورم قدماه، لكي يصل إلى منزلة العبد الشكور، لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، عن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: «أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ»[٢].

وهذا الانشغال بالله هو جزء من وجوه عبادته – صلى الله عليه وسلم – هي راحته من مشاق الحياة، لذلك كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة لراحة قلبه

---

[١] التحرير والتنوير ٢٥٨/٢٩, التفسير الوسيط للإمام طنطاوي ١٥٣/١٥ بتصرف.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه١٣٥/٦,كتاب: تفسير القرآن, باب: [لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢] [الفتح: ٢], برقم:٤٨٣٧.

فينادي مؤذنه بلالاً – رضي الله عنه – بقوله: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»[١].

٢- الوصال في الصوم

الوصال: هو عبارة عن صوم يومين فصاعدًا من غير أكل وشرب بينهما، وذلك كان مشروعاً له – صلى الله عليه وسلم – خصوصية له دون أمته، فعن عائشة – رضي الله عنها- قالت: نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمةً لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال:«إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»[٢].

قال ابن عاشور: وهذا الأمر خاص بالرسول – عليه الصلاة والسلام-، وكل ما خص به الرسول – عليه الصلاة والسلام – من الوجوب يستحسن للأمة اقتداؤهم به فيه إلا ما نهوا عنه مثل الوصال في الصوم[٣].

٣- إنفاق النبي صلى الله عليه وسلم

بلغ – صلى الله عليه وسلم – مرتبة الكمال الإنساني في حبه للعطاء والصدقة،

---

[١] أخرجه أبو داوود في سننه ٢٩٦/٤, كتاب: الأدب, باب: في صلاة العتمة, برقم:٤٩٨٥, وقال محققه: صحيح.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٧٧٦/٢, كتاب: الصيام, باب: النهي عن الوصال في الصوم, برقم:١١٠٥.

[٣] التحرير والتنوير ٢٤٢/٩.

فقد حكى جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – عن جوده صلى الله عليه وسلم وصدقته،

فيقول: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا»[1]،أي: ما سئل شيئًا من متاع الدنيا.

فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، حتى إن امرأة أهدته ذات يوم عباءة منسوجة، فأخذها النبي – صلى الله عليه وسلم – محتاجاً إليها، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «نَعَمْ» فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَمَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا»[2].

فكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه – صلى الله عليه وسلم – روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه١٨٠٥/٤, كتاب: الفضائل, باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه, رقم:٢٣١١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/٨, كتاب:الأدب, باب:حُسن الخُلق والسخاء، وما يكره من البخل, برقم:٦٠٣٦.

«لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ»[١].

فمن تأمل أحواله – صلى الله عليه وسلم – في العبادة من دوام الإقبال على الله – عز وجل – رأى عبادة تبرهن على أنه سيد المرسلين، فهي بمنزلة المعجزة لا يقدر عليها إلا النبيون ويعجز عنه الخلق أجمعون.

المطلب الخامس: محاولات الكفار جذب النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين لما هم عليه.

لقد تعددت وتنوعت أساليب الكفار من أجل إثناء النبي – صلى الله عليه وسلم – عن دعوته والقضاء عليها، إلا أنها باءت جميعاً بالفشل، فلجأوا إلى الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه، فاتهموه بالجنون والسحر والكذب، قال تعالى [وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ] [الحجر:٦]، وقوله [وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ] [ص:٤]، كما لجأوا إلى التشويش وافتعال ضجة عالية عندما يقرأ القرآن، حتى لا يصل إلى سمع أحد وقلبه فيؤثر فيه، وفي ذلك قال تعالى [وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾] [فصلت:٢٦]، وكانوا يستهزؤن به – صلى الله عليه وسلم – وبأصحابه الكرام – رضوان الله عليهم – قال تعالى [إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾] [المطففين:٢٩-٣١].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ١١٦/٣, كتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس, باب: أداء الدين, برقم:٢٣٨٩.

ومن ناحية أخرى حاولوا إغراء النبي – صلى الله عليه وسلم – بالمال والمُلك، لعله يرجع عن دعوته التي جاء بها، أو يتنازل عن بعض الحق الذي يدعو إليه، وذلك بعد فشل أساليب التهديد والوعيد، فلجأوا إلى أسلوب الترغيب والمساومة وذلك بأن يتنازل الكفار عن بعض ما هم عليه، ويترك النبي – صلى الله عليه وسلم – بعض ما هو عليه، وقد عبر القرآن – الكريم – عن نفسية الكفار في ذلك فقال [وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ] [القلم:٩].

فقوله: (وَدُّوا) من الود بمعنى المحبة، وقوله: (تُدْهِنُ) من الإدهان وهي المسايرة والمصانعة والملاينة للغير، وأصله أن يجعل على الشيء دهناً لكي يلين أو لكي يحسن شكله، ثم استعير للملاينة والمساهلة مع الغير، أى: إن ربك أيها الرسول – الكريم– لا يخفى عليه شيء من أحوالك وأحوالهم، وما دام الأمر كذلك، فاحذر أن تطيع هؤلاء المكذبين في شيء مما يقترحونه عليك، فإنهم أحبوا وودوا أن تقبل بعض مقترحاتهم، وأن تلاينهم وتطاوعهم فيما يريدون منك، وهم حينئذ يظهرون لك من جانبهم الملاينة والمصانعة، حتى لكأنهم يميلون نحو الاستجابة لك، وترك إيذائك وإيذاء أصحابك[1].

فالآية الكريمة تشير إلى بعض المساومات التي عرضها الكفار على النبي – صلى الله عليه وسلم – لإيقافه عن تبليغه لدينه الذي بعثه الله – عز وجل – وأرسله به.

ومنها: "ما دار بينه – صلى الله عليه وسلم – وبين عمه أبي طالب عند ما نصحه بأن يترك المشركين وشأنهم، وقال له: يا ابن أخى أشفق على نفسك

---

[1] التفسير الوسيط للإمام طنطاوي ٤٣/١٥ .

وعلي، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق، قال له – صلى الله عليه وسلم: يا عماه، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه"[١].

ومنها ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية: أن نفراً من زعماء قريش اجتمعوا عند الكعبة، وطلبوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجاءهم، فقالوا له يا محمد: إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب شرفاً فينا، سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا،

فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما بي شيء مما تقولون، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله– تعالى– حتى يحكم بيني وبينكم[٢].

---

[١] سيرة ابن إسحاق, لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني, تحقيق: سهيل زكار ١٥٤/١ بتصرف واختصار,الناشر: دار الفكر – بيروت,الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

[٢] السيرة النبوية, لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، جمال الدين,تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ٢٩٣/١ =

ولما لم تفلح كل تلك الوسائل وثبت – صلى الله عليه وسلم – أمام إغراءاتهم ومساوماتهم، ورفض رفضاً قاطعاً التنازل عن مبادئه، وقال لهم في حكمة ووضوح وثبات أنه لن يترك هذا الأمر الذي بعثه الله – عز وجل – به، وهو ما تشير إليه سورة الكافرون، التي بينت بوضوح أن طريق الحق واحد لا عوج فيه، وليس هناك مكان لأنصاف الحلول أو المداهنة والتنازل، فالقضية ليست قضية شخصية، وإنما هي دعوة ربانية لا تقبل المساومة مهما كانت الأسباب والدوافع.

وقد ظهر ذلك في موقفه الثابت وهو المشار إليه في قوله تعالى [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ] [الأنعام:١٩].

قال ابن جزي: والمقصود بالآية الاستشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة على صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وشهادة الله بهذا هي علمه بصحة نبوة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وإظهار معجزته الدالة على صدقه، قوله (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ) تقرير المشركين على شركهم، ثم تبرأ من ذلك بقوله (لَّا أَشْهَدُ) ، ثم شهد الله بالوحدانية[1].

=

بتصرف واختصار,الناشر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر,الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

[1] التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥٦/١ بتصرف.

فقد أعلن – صلى الله عليه وسلم – للمشركين براءته الصريحة التي لا لبس يكتنفها من دينهم وطريقهم بأفصح عبارة وأدل لفظ: [قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾] [سورة الكافرون].

المطلب السادس: الأساليب البلاغية في السورة

تضمنت سورة الكافرون وجوهًا من البلاغة تتمثل فيما يلي:

١– التعبير عن عنوان السورة بالوصف بجمع المذكر السالم "الكافرون" دون الوصف بجمع التكسير ليفضي ذلك العنوان إلى مضمون السورة.

فقد جاءت لفظة "الكفر" بصيغة اسم الفاعل مجموعًا جمع مذكر سالمًا، ولم يجمع جمع تكسير على "كفار" أو"كفرة"، لأن جمع المذكر السالم يدل على إرادة الحدث ويقرب اللفظ من الفعلية، وهذا يتناسب مع فعل الكفار الذين كانوا يساومون الرسول – صلى الله عليه وسلم – على دينه بين الحين والآخر، فهو إشارة إلى إصرارهم على الكفر وإيغالهم فيه[١].

كما أن في ذلك دلالة على أن الكفر عارض على الإيمان وأن الأصل التوحيد، ذلك أن اسم الفاعل يدل على الفعل وصاحبه فكان الكفر من صنيعهم هم، والفطرة في الأصل هي الإيمان وذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ

---

[١] أسماء سور القرآن الكريم دراسة لغوية تحليلية, رسالة ماجستير, لباسل خلف حمود,بإشراف: د/عماد عيد يحيى ٣٨٤/١, الناشر: كلية التربية, جامعة الموصل, سنة النشر: ١٩٩٩م.

يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:[فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا] [الروم: ٣٠] الآيَةَ[١].

٢- افتتاح السورة بصيغة فعل الأمر "قل"، للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أنه مرسل بقول يبلغه[٢].

قال الشيخ الغزالي: وقد استوقف الأمر بـ "قل" نظر العلماء، إنه تعليم من الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وتعليم من الرسول للناس،

وقد سيقت بعد هذا الأمر الأقوال التي تضمنت ما شاء الله من النصائح والعظات والأحكام[٣].

فلا يجيء لفظ "قل" في القرآن إلا وهو تلقين للنبي - صلى الله عليه وسلم، فحيث ما جاء في التنزيل مبتدأ كان، أو متوسطًا، فهو أمارة كونه من كلام الله خطابًا للنبي - صلى الله عليه وسلم - تبصيرًا عند افتتاح القول، وتهذيبًا، أو إسقاطًا للسؤال، يوجهه المعاندون نحوه امتحانًا، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينتظر في مثل هذه الأحوال ما يلقنه من وحي فيدفع به مضرتهم، أو يبطل به حجتهم، أو يتوصل به إلى تعجيزهم ورد كيدهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٩٤/٢,كتاب:الجنائز, باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام, برقم:١٣٥٨.

(٢) التحرير والتنوير ٥٨٠/٣٠.

(٣) فقه السيرة, لمحمد الغزالي السقا ٣١/١,الناشر: دار القلم - دمشق, تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني, الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

في نحورهم، أو يستظهر به داعيًا عند طلب السلامة عليهم ظهر الابتداء المعقب بـ"قل" والله يمده بما يعلو به أمره، ويشتد به أزره[١].

٣- النداء بأداة البعد المؤكدة "يأيها" معبرًا بالوصف "الكافرون" المؤذن بالرسوخ، أي الذين قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه[٢].

كما تدل أداة النداء أيضاً على ذهابهم بعيداً في ضلال الكفر، وهذا فيه ما فيه من وحشة الكفر وغُربة الإشراك بالله – تعالى.

وابتدئ خطابهم بالنداء لإبلاغهم، لأن النداء يستدعي إقبال أذهانهم على ما سيلقى عليهم[٣].

٤- إن النفي في هذه السورة أتى بأداة «لا» دون «لن»، وذلك لأن النفي بـ«لا» أبلغ منه بـ«لن» وأنها أدل على دوام النفي وطوله من «لن»، وأنها للطول والمد الذي في لفظها طال النفي بها وامتد[٤].

---

[١] الأزمنة والأمكنة, لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ٦٠/١, الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور, لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي ٣٠٢/٢٢ بتصرف, الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[٣] التحرير والتنوير ٥٨١/٣٠.

[٤] تفسير القرآن الكريم, لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية, تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية =

إذاً إن "لن" أقوى في النفي من "لا" والأنسب هنا "لا"، لذلك تكررت لتأكيد النفي في الحال والمستقبل، وهي في حق الكافرين فتح لباب الأمل بالرجوع إلى الحق إن أرادوا الرجوع.

٥- اشتمال هذه السورة على النفي المحض، فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة، فإنها سورة البراءة من الشرك، كما جاء في وصفها: أنها براءة من الشرك، فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة، وهذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحًا، فقوله: [لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢] [الكافرون:٢] براءة محضة، وقوله: [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣] [الكافرون:٣] إثبات أن له معبودًا يعبده وحده، وأنتم بريئون من عبادته، فتضمنت النفي والإثبات[1].

٦- التعبير بالفعل والاسم

فقد نفى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عبادة الأصنام عن نفسه بالصيغتين: الفعلية والاسمية [لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢] وقوله [وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤] وبالفعلين: المضارع والماضي (تعبدون) و (عبدتم) ، ونفى عن الكافرين العبادة الحقة بصيغة واحدة مرتين هي الصيغة الاسمية: [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣]، ومعنى ذلك أنه نفى عبادة الأصنام عن نفسه في الحالتين الثابتة والمتجددة في جميع الأزمنة وهذا غاية الكمال.

=

٥٩٣/١, الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت, الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ.

[1] المصدر السابق ٥٩٤/١.

إذ لو اقتصر على الفعل لقيل: إن هذا أمر حادث قد يزول، ولو اقتصر على الاسم لقيل: صحيح أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناه أنه مستمر على هذا الوصف لا يفارقه، فإن الوصف قد يفارق صاحبه أحيانًا، بل معناه أن هذا وَصْفُه في غالب أحواله، ولذلك أعلن الرسول – صلى الله عليه وسلم – براءته من معبوداتهم بالصغتين الفعلية والاسمية: الصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والصيغة الاسمية الدالة على الثبات ليعلم براءته منها في كل حالة، ثم إنه استغرق الزمن الماضي والحال والاستقبال باستعماله الفعل الماضي والمضارع، في حين نفاه عنهم بالصيغة الاسمية فقط، فإصراره هو على طريقه أقوى من إصرارهم، وحاله أكمل من حالهم والنفي عنه أدوم وأبقى من النفي عنهم، لأنه لما خاطبهم بالصورة الاسمية قائلاً: [قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾] نفى عنهم العبادة الحقة بالصورة الاسمية أيضاً

فقال: [وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾]، فإنهم لما اتصفوا بكفرهم على وجه الثبات نفى عنهم عبادة الله على وجه الثبات أيضاً، وهو تناظر جميل بين عدم عبادة أحد الطرفين لإله اللآخر[1].

وقال ابن عاشور: فبعد أن نفى – صلى الله عليه وسلم – عبادته آلهتهم في المستقبل الذي يفيد بدوره نفي عبادتها في الحال بدلالة فحوى الخطاب، جاء في جانب نفي عبادتهم لله بنفي اسم الفاعل الذي هو حقيقة في الحال

---

[1] أسرار البيان في التعبير القرآني, لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ٢٩/٢ بتصرف, الناشر: بيت الحكمة, بغداد, سنة النشر: ١٩٨٩م.

بقوله: **[وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ]**، أي ما أنتم بمغيرين إشراككم الآن لأنهم عرضوا عليه أن يبتدئوا هم فيعبدوا الرب الذي يعبده النبي – صلى الله عليه وسلم – سنة، وفي هذا إخبار من الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه يعلم أنهم غير عابدين ما يعبد بإنباء من الله – سبحانه وتعالى – بذلك فكان قوله هذا من دلائل نبوءته(١).

٧- جملة: [وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤] معترضة بين التأكيد [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣] الأولى والمؤكد [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥] الثانية، قصد منها تخصيص وتوكيد الكلام الذي يكتنفها، ودليل على صدق نبوءته – صلى الله عليه وسلم – أخبر إخبارًا ثانيًا تنبيهًا على أن الله – سبحانه – أعلمه بأن الكافرين لا يعبدون الله بقوله [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ] فوصل بين الجملتين [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣] و[وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤] لبيان تمام الاختلاف بين حالة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحالهم، فجاءت الجملة مؤكدة لنظيرتها السابقة توكيدًا للمعنى الأصلي منها، وليس موقعها موقع التوكيد(٢).

٨- دلالة التعبير بـ"ما" دون "مَن"

عبر في السورة بـ"ما" الموصولة لأنها موضوعة للعاقل وغيره، فقوله [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣] ما أعبد: هو الله تعالى، وقوله [وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ

(١) التحرير والتنوير ٥٨٢/٣٠ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير ٣٨٣/٣٠ بتصرف.

﴿٤﴾] الأصنام غير عاقلة، وإنما تختص "مَن" بالعاقل، فلا مانع من إطلاق "ما" على العاقل إذا كان اللبس مأمونًا[١].

٩- دلالة التكرار في السورة

يلاحظ أن سورة الكافرون مبنية على تكرار جملها مع تعديلات بسيطة تناسب السياق والمقام، فجملة [وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ] تكرار لجملة [لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ]، وجملة [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ] تكررت مرتين.

وقد ظن قوم أن هذا التكرار في الآيات الكريمة لا فائدة فيه، وليس الأمر كذلك، والجواب لهم من وجهين:

أحدهما: أنه للتأكيد، وقطع أطماعهم فيما طلبوه منه.

الثاني: إن معنى قوله: [لَآ أَعۡبُدُ] يعني في المستقبل: من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي، [وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ] أي: وما كنت عابدًا قط فيما سلف ما عبدتم، يعني أنه لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما، فكيف يرجى ذلك مني في الإسلام ؟ [وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ] في الماضي في وقت ما ما أنا على عبادته الآن، فلا تكرار فيه بل هو إعجاز[٢].

---

[١] لمسات بيانية ١/١٢٠بتصرف, التحرير والتنوير ٣٠/٥٨٢.

[٢] أسرار التكرار في القرآن, لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني, تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ١/٢٥٦ بتصرف ,مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض, دار النشر: دار الفضيلة, المثل السائر =

كما أن التكرار هنا أفاد التغني بالتوحيد وكأنه نشيد القلب واللسان، حتى لكأنه من شدة اعتزازه بدينه وفرحه به يردد التوحيد مشتملاً على البراءة من الشرك.

١٠- الجناس الاشتقاقي[١] في السورة

وذلك في الألفاظ (اعبد – تعبدون – عابد – عبدتم) فالمعنى في الاشتقاق راجع إلى أصل واحد وهو العبادة[٢].

١١- تقديم المسند على المسند إليه في قوله [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾]

=

في أدب الكاتب والشاعر, لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد, تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة ٧/٣ بتصرف, الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة, الموسوعة القرآنية خصائص السور ١٧٧/١.

[١] جناس الاشتقاق: هو توافق الكلمتين في الحروف الأصول مع الاتفاق في الاشتقاق. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي, ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ٣٢٦/١, الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

[٢] خزانة الأدب وغاية الأرب, لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري, تحقيق: عصام شقيو ٦٣/١,الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، دار البحار– بيروت,الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

إذا قدم المسند على المسند إليه الذي رتبته التقديم، فإن هذا التقديم يكون لأسرار ومزايا بلاغية، فقد تقدم المسند في الآية الكريمة لغرض بلاغي وهو إفادة القصر،

أي قصر المسند إليه على المسند المقدم، فالمعنى أن دينكم الذي هو الإشراك مقصور على كونه لكم، لا يتجاوزكم إليَّ، وديني الذي هو التوحيد مقصور على كونه لي، لا يتجاوزني إليكم، فالمقصور عليه هو المسند المقدم، والمقصور هو المسند إليه المؤخر، أي دينكم مقصور عليكم، وديني مقصور عليَّ[١].

١٢- حسن الانتهاء في السورة

وهكذا ختمت السورة بخاتمة غاية في الحسن ونهاية الكمال، فمما لا شك فيه أن آخر السورة الذي هو اختصاص كل بدينه هو أولها الذي أفاد أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يعبد معبود الكافرين ولاهم يعبدون معبوده، فصار آخرها أولها ومفصلها موصلها، ومن أعظم الدلائل إعجازها وجمعها للمعاني في إشارتها وإيجازها أن حاصلها قطع رجاء أهل الكفر من أن يقاربهم النبي – صلى الله عليه وسلم – في أن يعدل بربه أحداً في زمن من الأزمان[٢].

---

[١] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ١٣٦/١, بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة, لعبد المتعال الصعيدي ١٩٢/١, الناشر: مكتبة الآداب, الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٠٩/٢٢ بتصرف.

فقد جمعت هذه السورة الكريمة على قصرها من بديع الفوائد، وأسرار البيان، ما يعجز عن الإتيان بمثله أرباب الفصاحة والبيان.

المطلب السابع: مناسبة الختام بقوله [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦] بالسورة الكريمة مدلول كلمة الدين في الأصل: يدور حول عدة معاني، ومنها:

١- المجازاة، كما في قولهم: كما تَدين تُدان، أي تُجزى بما تفعل، ويوم الدين هو يوم الجزاء.

٢- الطاعة والانقياد، يقال: دَانَ له، أي أطاعه.

٣- العادة والشأن، تقول العرب: ما زال ذلك دِيني ودَيدني أي عادتي.

٤- الإسلام، فقد قال تعالى[إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ] [آل عمران: ١٩][1].

وفي الاصطلاح: هو الاستسلام لأوامر الشرع ظاهراً والتسليم لأحكام الحق باطناً[2].

وقال الجرجاني: هو وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم[1].

---

[1] تهذيب اللغة ٣١٩/٢, مختار الصحاح ١١٠/١.

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان,لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري,
تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ٢٠/٢,الناشر: دار الكتب العلمية,بيروت,الطبعة: الأولى١٤١٦ هـ.

لما بدأت السورة – الكريمة – بالأمر بالبراءة من عبادة الكافرين، ختمت بالبلاغ والتسجيل بأنهم كافرون قال تعالى [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾] [الكافرون:٦]، فتبرأ منهم ومن جميع ما هم فيه، ولم تأمره – صلى الله عليه وسلم – بإكراههم على اعتناق دين الإسلام أو قتالهم، بل يكفي إنذارهم بأنهم كافرون وتركهم وشأنهم، فلم تأمره بأكثر من ذلك.

قال الإمام ابن كثير: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله تعالى: **[قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾]** شمل كل كافر على وجه الأرض[٢].

وذكر الإمام أبو حيان: أي لكم شرككم ولي توحيدي، وهذا غاية في التبرؤ[٣].

وقال الإمام الرازي: قو له تعالى **[لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾]** ليس فيه إذن في الكفر، ولكن المقصود منه أحد أمور:

=

[١] التعريفات,لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني, تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ١٠٥/١,الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان,الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٩/٨.

[٣] البحر المحيط في التفسير,لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي, تحقيق: صدقي محمد جميل ٥٦١/١٠,الناشر: دار الفكر,بيروت,الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

أحدها: أن المقصود منه التهديد، كقوله [ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ] [فصلت:٤٠]، وثانيها: كأنه يقول: إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني إلى الشرك، وثالثها: لكم دينكم فكونوا عليه إن كان الهلاك خيراً لكم ولي دين لأني لا أرفضه(١).

وهكذا دعت السورة – الكريمة – في آخر آياتها بمفارقة أهل الكفر بعد إقامة الحجة عليهم وبيان أن عباداتهم كلها باطلة بإقرار دين التوحيد الذي دعا إليه سائر الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – من آدم – عليه السلام – إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – بدليل قوله تعالى [شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ] [الشورى:١٣]، وقوله [إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ] [آل عمران:١٩]، وقوله [وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ] [آل عمران:٨٥]، وأدلة كثيرة على ذلك أثبتت أن الإسلام هو الدين الحق ومفارقته لغيره من الشرائع بعد إقامة الحجة على معتقدي هذه الديانات الباطلة والمعتقدات الفاسدة، وقد عاب القرآن الكريم عليهم في قوله تعالى [أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١] [الشورى:٢١].

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٢/٣٣٢.

ومن هنا كان قوله تعالى [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾] ليس اعترافًا من الإسلام بدياناتهم، بل التبرؤ من عبادة الكافرين فقد حذرتهم ليراجعوا أنفسهم، كذلك لم تقرر بقتال الكافرين لأنهم لم يعبدوا الله، ولم تأمر بإكراههم فكل إنسان حر فيما يختاره، وقد تكرر هذا المعنى في سور كثيرة مكية ومدنية، وأن المسلمين مكلفون بأن لا يقاتلوا الكفار ما لم يقاتلوهم أو يخرجوهم من ديارهم، قال تعالى [لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ] [الممتحنة:٨]، وقوله [وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾] [البقرة:١٩٣]، وقوله [لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾] [البقرة:٢٥٦].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات – سبحانه – هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وآله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد، فهذه خاتمة وضعت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وهي:

١ـ سورة الكافرون واحدة من سور القرآن – العظيم ـ المكية التي تتحدث عن إخلاص العبادة لله وحده، وإعلان البراءة من الشرك.

٢– في هذه السورة – الكريمة – رسم للمنهج الحق الذي ندعو الله تعالى أن يثبتنا عليه حتى نلقاه، فالنبي الكريم دعاه ربه أن يقول للكافرين بصراحة تامة: أنه لا يعبد ما يعبد هؤلاء المشركون من أصنام وأوثان وأهواء، وأن عبادته تكون لله وحده.

٣– إعلاناً للمفارقة في العبادة بين المؤمنين ومن دونهم من الكفار والمشركين قال تعالى [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾]، لأن هدفهم هو إبعاد المسلمين عن الحق في الإعتقاد، كما في قوله تعالى [وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾] [البقرة: ١٠٩].

٤– كان – صلى الله عليه وسلم – يقرأ هذه السورة العظيمة في الصلوات، لأنها جردت الإخلاص والتوحيد لله تعالى.

٥- دين الله يقرر حرية الإعتقاد دون إكراه، وعدم الاعتداء على حرية الآخرين وظلمهم.

٦- بينت السورة أن العبادة هي التقرب إلى الله - تعالى - بما شرعه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، وهي حق الله تعالى على خلقه وفائدتها تعود إليهم.

٧- العبادة هي الغاية التي خلق الله لها الجن والأنس، وبعث جميع الرسل – عليهم السلام – يدعون إليها والإعراض عما سواه.

٨- مفهوم العبادة شامل ومعناها واسع، ولا يقتصر على الفرائض، فكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة فهو عبادة.

٩- التحذير الشديد من التكفير باعتباره حكماً شرعياً له ضوابطه التي ينبغي مراعاتها، فليس لأي أحد كائن مَن كان إطلاقه مستنداً إلى رأي مجرد، لأنه من المسائل الشرعية لا العقلية، لذا صار القول فيه من خالص حق الله تعالى لا حق فيه لأحد من عباده.

١٠- كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أكمل الخلق عبادة لله – عز وجل –، وكانت حياته كلها عبادة لربه.

١١- قد جاءت الشريعة الإسلامية مبنية على التيسير والسهولة والتخيف والرحمة ورفع الحرج، فمن ذلك نهيه - صلى الله عليه وسلم - أمته عن الوصال في الصوم لما في ذلك من المشقة وحصول المفسدة المترتبة عليه.

١٢- بينت السورة أن المسلم لا يغتر بالمفاوضات والتنازلات التي تخالف مبادىء الإسلام وأصول الإيمان.

١٣- كل مَن يعبد غير الله تعالى وحده فهو كافر، دون النظر إلى إختلاف الملل والتوجهات والاعتقادات.

١٤- من أسماء القرآن الكريم "الفرقان" لأنه يفرق بين الحق والباطل، وسورة الكافرون لها النصيب الأوفر في تلك الدلالة.

١٥- تقرير الغرض الذي سيقت له السورة الكريمة بأسلوب بليغ يظهر من خلال حسن ابتداء السورة وحسن الانتهاء، والترابط المعنوي بين آيات السورة الكريمة.

أ- فهرس المراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله.

١- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام،

الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢- أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا،مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة.

٣- أسماء سور القرآن الكريم دراسة لغوية تحليلية، رسالة ماجستير، لباسل خلف حمود، بإشراف: د/عماد عيد يحيى، الناشر: كلية التربية، جامعة الموصل، سنة النشر: ١٩٩٩م.

٤- البحر المحيط في التفسير،لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل ٥٦١/١٠،الناشر: دار الفكر،بيروت،الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٦- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

٨- تفسير المراغي، للإمام أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٩- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،

تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠هـ.

١٠- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للإمام محمد سيد طنطاوي ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣- روح المعاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٤- السراج المنير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ.

١٥- السنن الكبرى،لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي،تحقيق: محمد عبد القادر عطا،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات،الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٦- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١٧- سنن ابن ماجه،لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٨- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف،الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت،سنة النشر: ١٩٩٨ م.

١٩- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان،لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري،

تحقيق: الشيخ زكريا عميرات،الناشر: دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة: الأولى١٤١٦ هـ.

٢٢- فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا،الناشر: دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٢٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٤- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٢٥- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى،

تحقيق: صفوان عدنان الداودي،الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ،

٢٦- الموافقات،لإبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة

مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان،الطبعة:الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ب- فهرس الموضوعات

م	الموضوعات
١	مقدمة
٢	أسباب اختيار الموضوع
٣	خطة البحث
٤	تمهيد: دراسة عامة عن سورة الكافرون
٥	المطلب الأول: تعريف الكفر وأنواعه
٦	المطلب الثاني: أنواع عبادات الكفار
٧	المطلب الثالث: العبادة المشروعة
٨	المطلب الرابع: العبادات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم
٩	المطلب الخامس: محاولات الكفار جذب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما هم عليه
١٠	المطلب السادس: الأساليب البلاغية في السورة
١١	المطلب السابع: مناسبة الختام بقوله [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾] بالسورة الكريمة
١١	الخاتمة
١٢	أهم النتائج
١٣	الفهارس